الحرب فى أسبوع

للأستاذ فوزى الشتوى

التاريخ يسجل

لم يشهد التاريخ انسحاباً موفقاً مثل انسحاب قوات الحلفاء من بلجيكا ، ولم يشهد التاريخ أيضاً تفهقراً أكسب القوات المتراجعة روحاً معنوية كالذى كسبته جنود الحلفاء فى معركة الفلاندر . فقد عملت الحوادث على إرسال موجة شديدة من اليأس والتشاؤم فى صدور العسكريين ، حتى رأى بعضهم أن الانسحاب لا يتم إلا بمعجزة . وها نحن أولاء نرى المعجزة تتم ، ونرى جنود الحلفاء فى بلادهم بعد ما تسلحوا بعزم جديد وروح جديدة هى الاستخفاف بالقوة العسكرية الألمانية

نخبرها جنود الحلفاء وهى فى أحسن أحوالها وأقوى مواقعها بينما كانوا هم فى أسوأ أحوالهم ، وأحرج موقف يمكن أن يوضع فيه جيش . إذ يفاجأون بانسحاب القوات البلجيكية التى كانت تحتل مواقع هامة ؛ ويؤدى إلقاؤها لسلاحها إلى كشف ظهر قوات الحلفاء . فإذا هى تسعى لضم جموعها ، وإذا هزيمتها محققة .

ومع هذا ، فهزيمتها لا تلين ، وأملها فى النجاة لا يضعف ، وصبرها على أهوال القتال لا يتضعضع . فلم يفت فى عضدها القتال المستمر عشرين يوماً ليل نهار . ولم يوهن من قوتها وروحها المعنوية انقلاب المآل من حال إلى حال . فأى عزيمة وأى صبر وأى احتمال سلحت بها قيادة الحلفاء جيوشها ؟ لا شك أن القيادة الرشيدة كانت عاملاً فعالاً فى إقرار هذه الروح فى الجنود ، ولا شك أيضاً أن أخلاقاً قوية ساعدت القيادة على تحقيق أغراضها والوصول إلى أهدافها . لقد خسر الحلفاء هذه المعركة بالخيانة ، ولكنهم كسبوا نصراً عسكرياً وتعلموا كيف يواجهون الألمان ليحرزوا النصر النهائى

الشجاعة تقهر

أما عوامل اليأس من إنقاذ هذه القوات فكانت كثيرة أهمها :

١ — تسليم الجيش البلجيكى

٢ — إغلاق طريق الانسحاب لضيق البقعة الأرضية فلم يبق إلا منفذ البحر مع وعورة مسالكه

وتم استسلام الجيش البلجيكى فى ظروف غريبة شاذة ، فبينما كانت قوات الحلفاء تواصل قتالها باقى ملك البلجيك سلاحه دون إخطار ، ويضع جيوش الحلفاء فى مأزق حرج . فقد كانت قواته تقاتل فى مراكز رئيسية كانت جيوش الحلفاء لها بمثابة احتياطى يسد العجز الذى يطرأ على بعض نقطها

ولهذا توزعت فرق الحلفاء بين القوات البلجيكية ، فلما ألقت هذه السلاح انعدم الترابط بين قوات فرنسا وانجلترا . ووجدت نفسها محاصرة بقوات ألمانية تحتل مواقع الجيش البلجيكى الذى كان بالأمس ظهيرها وعمادها .

الجنرال الورد جورت قائد الحملة البريطانية وهو يراقب جنوده وهم يحفرون الخنادق فى بلجيكا

ثمن الخيانة

لقد تورعنا فى مقالنا الماضى عن التصريح بأن عمل ملك البلجيك كان خيانة مقصودة ؛ أما الآن فإننا إزاء ما عرف من تصرفاته قبل التسليم وبعده ، وعن الثمن الذى تقاضاه لا نجد مفراً من التصريح بما أخفينا . فقد خان القوات التى آزرته خيانة أدت إلى قلب الوقف العسكرى انقلاباً كبيراً أفسد جزءاً هاماً من خطط الحلفاء

أما الثمن الذى تقاضاه ليوبولد الثالث فهو حكم بلجيكا وهولندا والمناطق المحتلة من شمال فرنسا . وليته تقاضى هذا الأجر حراً أو بشرط الاستقلال ، ولكنه يتقاضاه وسيف هتلر مصلت على رأسه ، فبعد ما كان ملكا مستقلاً شريفاً أصبح تابعاً خائناً لقضية الديمقراطية بزعامة هتلر

ضيق الميدان

ننتقل بعد هذا إلى النقطة الثانية، وهى ضيق مجال الانسحاب فقد كانت جيوش الحلفاء تقاتل فى رقعة صغيرة من الأرض يليها البحر . فكان مجال للتراجع ضيقاً لا يعطى للقوات المنسحبة الميدان الكافى لإنشاء خطوط قتال جديدة . ولم يكن هناك مفر من إخلاء الميدان والاستعانة بالأساطيل البحرية لنقل الجنود ، وهى مهمة شاقة محفوفة بالأخطار تستلزم تجمع القوات فى بقاع صغيرة. فيسهل الفتك بالقوات سواء بالطائرات أو بالمدافع البعيدة المرى .

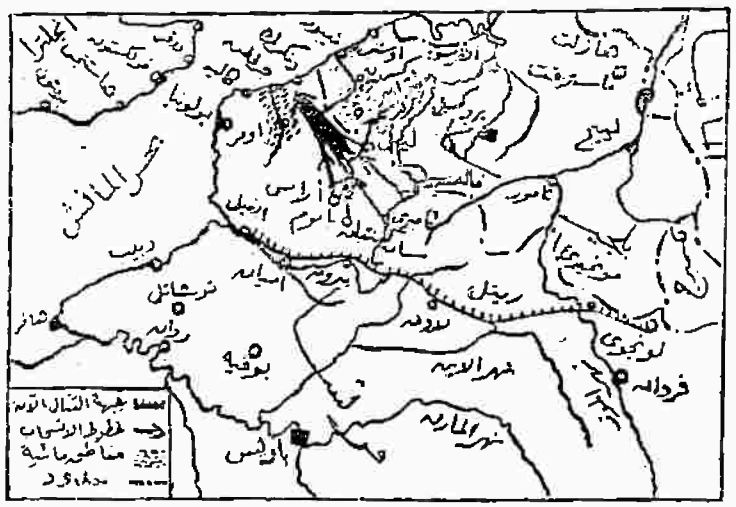

ومن مبادئ العلوم العسكرية ألا تتجمع القوات بأعداد كبيرة فى بقعة محدودة حتى لا تكون هدفاً سهلاً لطائرات العدو وتكون خسائرها كبيرة ، ولكن تحقيق هذا المبدأ لم يكن سهلاً فى هذه الحال ولا سيما بعد ما أغلق بعض الموانى بإغراق بعض السفن المحملة بالأسمنت فيها فسدت مسالكها وتعذرت الملاحة فيها فاضطر الحلفاء إلى الاعتماد على ميناء دنكرك وحده

القوة القاهرة

وتيسر تذليل هذه العقبة بتعاون وحدات الطيران والبحرية فى إبعاد قوات العدو وتدمير خطوط مواصلاته . فوجهت انجلترا عدداً هائلاً من سفنها الحربية والمدنية ، وعبأت جميع قواتها البحرية من سفن صيد ونوادى تجديف وغيرها لنقل الجنود وحمايتهم . فتم الانسحاب بنجاح كبير وخسائر قليلة منى الألمان بأضعافها . ودلت هذه الحركة على ما فى الأمة الانجليزية من قوة كامنة تظهر فى وقت الشدة

واستغل الحلفاء طبيعة الأرض حول ميناء دنكرك لإبعاد قوات الألمان عنها فغمروا الأراضى فى شمالها وجنوبها بماء البحر واضطرت قوات الألمان إلى وقف تقدمها خلف حواجز الماء ، بينما ترك طريق التقهقر مفتوحاً من الشرق لقوات الحلفاء التى استمرت فى قتالها أثناء انسحابها النظامى . فليس معنى الانسحاب ترك الميدان دفعة واحدة ؛ بل إنه يتناول عدة حركات عسكرية . فبينما يهاجم جزء من القوات الجيوش المعادية يتراجع الجزء الآخر وهو يحمى مؤخرة القوات المقاتلة ؛ وهكذا يستمر الحال فيتيح الفرصة للجزء الأكبر من القوات للوصول إلى أهدافها

وفى الحرب الماضية

وإذا عدنا إلى سنة ١٩١٤ حين انسحبت الحملة البريطانية من خط بنش كونديه إلى جنوب نهر المارن نجد المجال الواسع الذى كان أمام تلك القوات ، إذ كان ميدانها عريضاً تحمى جانبيه قوات فرنسية ولا تقلقه قوات الطيران كما هى الحال الآن. فكانت القوات تتراجع بنظامها العادى دون أن تلجأ إلى التجمع ودون أن تكون هدفاً صالحاً؛ واعتبرت حركة انسحاب الجنرال فرانش عملاً عسكرياً بارعاً نظراً لكثرة القوات التى كان يحاربها

وفى الانسحاب الأخير توفر للألمان الكثرة العددية واستغلال الطائرات والموقف الحربى الممتاز . يضاف إلى ذلك ضيق مجال تراجع الحلفاء واقتصارهم على إنزال قواتهم من ميناء واحد تتعذر فيه الحركات البحرية لسببين: ضيق مدخله، وعوامل المد والجزر، وهما يستلزمان براعة كبيرة فى القبض على دفة السفن

ولا تعتبر موقعة الفلاندر نصراً كبيراً للألمان ، لأن قوات

الحلفاء خرجت منها سليمة ولم تخسر إلا ٢٠٪ منها ، وهذه القوات ستعود إلى ميدان القتال فى فرنسا بعد أن تأخذ قسطها من الراحة . ولا تعتبر الموقعة حاسمة إلا إذا انتهت بتشتيت شمل قواتها على الأقل أى إبادتهم وهذا ما لم يحدث فى معركة الفلاندر بل بالعكس أن الجنود الإنجليزية والفرنسية عرفت أثناءها فقط الضعف فى القوات الألمانية بحركاتها العسكرية الحديثة وستستغل هذا الضعف فى المواقع المقبلة. وكفى أن يؤمن الجندى بأنه أبسل وأقوى من عدوه ليقهره . وشعرت ألمانيا بفشلها فأسرعت فى صباح يوم الخميس بتوجيه هجومها إلى جبهة السوم لتحصل على ما فقدته فى الفلاندر . والمعروف أن معركة الفلاندر أتاحت لقوات السوم أن تحسن مواقعها

وإيطاليا ؟ !

ومن الواجب أن نناقش مسألة حربية ذات أهمية خاصة بالنسبة لنا ، وهى مسألة دخول إيطاليا الحرب . فقد أصبح من المقطوع به اشتراكها فيها . ولكن هل من مصلحة إيطاليا أولاً والمحور ثانياً اشتراكها فيها ؟ هذا سؤال لا يتردد الخبراء العسكريون فى الإيجاب عنه بالسلب . فليس من مصلحتهما لا من الناحية العسكرية ولا من الناحية الاقتصادية أن تلج هذا السبيل

أما من الناحية العسكرية فقد ناقشنا موقف إيطاليا فى البحر الأبيض المتوسط فى مقال سابق تبعاً لمواقعها العسكرية والقواعد البحرية التى تسيطر عليها . وبقى أن نتكلم عن قواتها العسكرية وموقعها الجغرافى ومقارنة هذه القوات بقوات الحلفاء مع ملاحظة تشتت الأمبراطورية الإيطالية فى بقاع يسهل عزلها. فمستعمراتها فى شرق أفريقيا محاطة بالممتلكات البريطانية فضلاً عن سهولة قطع مواصلاتها بإيطاليا بإغلاق قنال السويس فى الشمال والبحر الأحمر من الجنوب ، ثم فرض الرقابة البحرية على خطوط المواصلات البحرية عن طريق رأس الرجاء الصالح

وفى الشمال توجد تونس وهى محاطة بقوات الحلفاء من جميع جهاتها. والغالب أن يتم الاستيلاء عليها فى فترة قصيرة من الزمن. وقد نعود إلى الحديث عن هذا الموضوع فى مقال آخر

ومن الناحية الاقتصادية فإن إيطاليا بلد فقير بدأت عمرانها بطيئاً عقب استيلاء الفاشست على كراسى الحكم . وقد استنفذت كثيراً من مواردها فى حرب الحبشة وحرب إسبانيا ولم يتح لها الوقت الكافى لاستغلال موارد مستعمراتها الحبشية، بل أن القلاقل ما زالت تنبئ بعدم الاستقرار فى الحبشة نظراً لبداوة سكانها ، وصعوبة أراضيها ، وحاجتها إلى كثير من أوجه الإصلاح والرقى التى تعتبر الحجر الأول للاستغلال المادى

حرب الكلام

وتعتمد الحرب الحالية على عامل جديد هام هو العامل النفسى أو إلقاء الرعب فى نفوس المتحاربين والمحايدين على السواء. ووضعت خطط السيطرة على أوربا على أساس ألا تدخل إيطاليا الحرب إلا بعد أن تنتهى ألمانيا من القضاء على دول أوروبا الشمالية والغربية أى بعد أن تنتهى مقاومة فرنسا وانجلترا . على أن تكون إيطاليا فى هذه الأثناء مبعث اضطراب للحلفاء فيقسمون قواتهم ، ويتركون منها ما يلزم لمقاومة الاعتداء الإيطالى والتغلب عليه ، وهذا هو السر فى «تهويشها» الحالى، فهى تهدد بدخول الحرب وبؤلف شبابها المظاهرات ويصيح ساستها أن الساعة قد دنت ، فتقف قوات الحلفاء المهيأة على قدم الاستعداد بعيدة عن ميدان القتال الحقيقى فى الشمال

وهذه الخطة تضمن للمحور فى الوقت نفسه قتال قواتها فى ميدان واحد وتجزئة قوات الحلفاء ومقاتلتها جزءاً جزءاً بدلاً من تركز مقاومتها فى ميدان واحد . فما لا شك فيه أن قوات الحلفاء متجمعة أقوى بكثير من قوات ألمانيا وإيطاليا ، ولكنهما يستفيدان من هذه التجزئة فائدة عظيمة تمدهم بالأمل فى النصر ، ولكنه أمل بعيد

فإذا دخلت إيطاليا الحرب الآن فإنها تدخلها مكرهة لظروف خارجية طارئة ، قد تكون ضغط ألمانيا عليها لشعورها بالحاجة إلى مساعدة جديدة وقوات كاملة ، وقد تكون دفاعاً عن هيبتها نتيجة لإغراقها فى الدعاية وحرب الكلام، وقد يكون خوفها من نفس حليفتها إذ تقف هى متفرجة بينما تفوز ألمانيا بنصيب الأسد، أو غير ذلك من العوامل التى يصعب الخلاص منها

فوزى الشترى
بكالوريوس فى الصحافة